Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي شيئاً تتيمه عين ولا جيد

ومن خلال هذا البيت تتفجر مشاهد حياته كلها .... وتتهاوى في قاع الإخفاق فيقف جامداً ، فقد كل شيء ولم يعد يحس بشيء ، بعد أن جرحته الدنيا ، وقذفت بسهامها في كل جزء من أجزاء جسده ، حتى قلبه وكبده . وبعد هذا البيت تجيء أربعة أبيات ، ما قرأتها إلا أحسست الدموع تتفجر في عيني .

وهي وثيقة من أدق الوثائق النفسية التي تصور مدى عمق الألم الإنساني :

يا ساقيي أخمر في كئوسكما أم في كئوسكما هم وتسهيد
أصخرةٌ أنا مالي لا تغيرني هذي المدام ولا هذي الأغاريد
إذا أردت كميت اللون صافية وجدتها وحبيب النفس مفقود
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها أني بما أنا باك منه محسود

إنني أكاد أصرخ من الألم وتهتز نفسي لعمق الألم الذي كان يحس به أبو الطيب . إنها آلام ضارية وعذاب نفسي مدمر ، وهنا يتخلى عن كبريائه وطموحه ومجده وأوهام حياته ويعترف بفشله وذله وحزنه وعذابه ، ويحدثنا حديثاً مهموساً حزيناً يعترف فيه بأنه يبكي من هذا الذي يحسدونه عليه . وتلك مفارقات الدنيا . ولذلك نغتفر لأبي الطيب ما في هذه القصيدة من ثورة عاتية على كافور وهجاء حاد عنيف . لأنه رد فعل لهذا الضعف الإنساني العاتي . وهذه سمة من سمات شعره الذي قاله في مصر . (المصريات) . ففي كل قصيدة من قصائده كان يتصارع تياران .. تيار الحزن وتيار الثورة والتمرد .

وثورته على كافور الذي لم يُحَقق أحلامه في السيادة والسلطان كانت ثورة عامة على كل من اتصل بهم ولم يحققوا أحلامه في المجد .

ولقد ثار مثل هذه الثورة – وهو في مصر – على سيف الدولة . وتأمل معي قصيدته التي قالها بعد أن عرف أنهم نعوه في مجلس سيف الدولة وأشاعوا موته :

١ ـ بم التعلل لا أهلٌ ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سَكَنُ
٢ ـ أريد من زمني ذَا أن يُبلغني ما ليس يبلغه من نفسه الزَّمن
٣ ـ لا تلقَ دهرَك إلا غيرَ مُكترثٍ ما دام يصحب فيه روحكَ البدنُ
٤ ـ فما يدوم سرور ما سررْتَ بهِ ولا يردّ عليكَ الفائتَ الحزنُ
٥ ـ مما أضر بأهل العشق أنهمُ هَوُوا وما عرفوا الدنيا وما فطِنُوا
٦ ـ تفنَى عيونَهم دمعاً وأنفسهم في إثْرِ كلِّ قبيح وجهُهُ حَسَنُ